والتدسية: النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل: في تقضض تقضى، وسئل ابن عباس عنه فقال: أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلمًا. وأما قول من زعم أنّ الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأنّ تأنيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون على الله قدرًا هو بريء منه ومتعالٍ عنه، ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه.

فإن قُلْتَ: فأين جواب القسم؟ **قُلْتُ:** هو محذوف تقديره ليدمدمنّ الله عليهم أي: على أهل مكة، لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود؛ لأنهم كذبوا صالحًا، وأما قد أفلح من زكاها فكلام نابع لقوله: فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾.

الباء في: **﴿بطغواها﴾** مثلها في كتبت بالقلم، والطغوى من الطغيان. فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوًا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا: امرأةٌ خزيًا وصديًا يعني: فعلت التكذيب بطغيانها، كما تقول: ظلمني بجرأته على الله، وقيل: كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى، كقوله: فأهلكوا بالطاغية. وقرأ الحسن: بطغواها بضم الطاء، كالحسنى والرجعى، في المصادر.

إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾.

﴿إذ انبعث﴾ منصوب بكذبت أو بالطغوى. و**﴿أشقاها﴾** قدار بن سالف، ويجوز أن يكونوا جماعةً، والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. وكان يجوز أن يقال: أشقوها كما تقول أفاضلهم. والضمير في **﴿لهم﴾** يجوز أن يكون للأشقين، والتفضيل في الشقاوة لأنّ من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ.

فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾.

و**﴿ناقة الله﴾** نصب على التحذير كقولك الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار نروا أو احذروا عقرها. **﴿وسقياها﴾** فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها.

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾.

﴿فكذبوه﴾ فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا. **﴿فدمدم عليهم﴾** فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم. **﴿بذنبهم﴾** بسبب ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر. **﴿فسوّاها﴾** الضمير للدمدمة أي: فسوّاها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم.

وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾.

﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى: فسوّاها بالأرض، أو في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها. وفي مصاحف أهل المدينة والشأم فلا يخاف. وفي قراءة النبي ﷺ: ولم يخف. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدّق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر»[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الليل مكية

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾.

المغشى إما الشمس من قوله: ﴿والليل إذا يغشاها﴾[2] وإما النهار من قوله: ﴿يغشى الليل النهار﴾[3] وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله: ﴿إذا وقب﴾[4].

وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾.

﴿تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل، أو تبين وتكشف بطلوع الشمس.

وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾.

﴿وما خلق﴾ والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد. وقيل: هما آدم وحوّاء. وفي قراءة النبي ﷺ والذكر والأنثى، وقرأ ابن مسعود: والذي خلق الذكر والأنثى، وعن الكسائي: وما خلق الذكر والأنثى، بالجرّ على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى: وما خلقه الله. أي: ومخلوق الله الذكر والأنثى. وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق إذ لا خالق سواه. وقيل: إن الله لم يخلق خلقًا من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى، والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة، فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرًا ولا أنثى وقد لقي خنثى مشكلاً كان خانثًا؛ لأنه في الحقيقة إمّا ذكرًا وأنثى وإن كان مشكلاً عندنا.

إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾.

﴿شتى﴾ جمع شتيت أي: إنّ مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره.

فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾.

﴿أعطى﴾ يعني: حقوق ماله. **﴿واتقى﴾** الله فلم يعصه.

---

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه في تفاسيرهم، الزيلعي 4/219.
(2) سورة الشمس، الآية: 4.
(3) سورة الاعراف، الآية: 54.
(4) سورة الفلق، الآية: 3.

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾.

﴿وصدّق بالحسنى﴾ بالخصلة الحسنة وهي الإيمان، أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام، أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة.

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾.

﴿فسنيسره لليسرى﴾ فسنهيؤه لها، من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها والجمها، ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له[1]. والمعنى: فسنلطف[2] به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها. من قوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾.

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾

﴿واستغنى﴾ وزهد فيما عند الله كأنه مستغنٍ عنه فلم يتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه في مقابلة واتقى.

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾.

﴿فسنيسره للعسرى﴾ فسنخذله ونمنعه الألطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشدّه. من قوله: ﴿يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعّد في السماء﴾[3] أو سمى طريقة الخير باليسرى لأنّ عاقبتها اليسر، وطريقة الشر العسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقي الجنة والنار، أي: فسنهديهما في الآخرة للطريقين، وقيل: نزلتا في أبي بكر رضي الله عنه. وفي أبي سفيان بن حرب.

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾.

﴿وما يغني عنه﴾ استفهام في معنى الإنكار أو نفي **﴿تردّى﴾** تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت، أو تردّى في الحفرة إذا قبر، وتردّى في قعر جهنم.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾.

﴿إنّ علينا للهدى﴾ إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع.

وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾.

﴿وإنّ لنا للآخرة والأولى﴾ أي: ثواب الدارين للمهتدى كقوله: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾[4] وقرأ أبو الزبير تتلظى.

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾.

فإن قُلْتَ: كيف قال: **﴿لا يصلاها إلا الأشقى. وسيجنبها الأتقى﴾**؟ وقد علم أنّ كل شقي يصلاها[5]، وكل تقي يجنبها، لا يختص بالصلى أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء. وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارًا بعينها مخصوصةً بالأشقى فما تصنع بقوله: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾[6] فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة! **قُلْتُ:** الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين. فقيل: الأشقى وجعل مختصًا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له.

---

(1) رواه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: موعظة المحدث عند القبر (الحديث رقم: 1362)، ومسلم في كتاب القدر بكيفية الخلق (الحديث رقم: 6. 2647).

(2) قال أحمد: ألا يطيل لسانه ههنا على أهل السنة؟ ولكن قصره الحق فتراه يؤوّل الكلام بل يعطله؛ لأنه يحمله ما لا يحتمله، وعلى كلامه في أمثالها روعة السارق الخائف.

(3) سورة الأنعام، الآية: 125.

(4) سورة العنكبوت، الآية: 27.

(5) قال أحمد: لا شك أن السائل بنى سؤاله على التمسك بمفهوم الآية لورودها بصيغة التخصيص، فحاصل جواب الزمخشري أنّ التخصيص ههنا لفائدة أخرى غير النفي، هما عدا المخصص وتلك الفائدة المقابلة، وحيث تمحض لك السؤال والجواب فهو يلاحظ نظر الشافعي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرّماً على طاعم يطعمه﴾ فإنه لم يقل بمفهوم حصرها وحملها على أن الحصر لفائدة المقابلة بالردّ لأحكام الجاهلية لا لنفي ما عدا المحصور، على أن الزمخشري إنما ضيق عليه الخناق في هذه الآية حتى التزم ورود السؤال المذكور التفاته إلى قاعدته الفاسدة، وحذره أن تنتقض ويأبى الله إلا نقضها ورفضها، وإذا نزلت الآية على قواعد أهل السنة وضح لك ما قلته، فنقول: المصلى في اللغة أن يحفروا حفيراً فيجمعوا فيه جمراً كثيراً ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه بين أطباقه، فأمّا ما = يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو على التنور فليس بمصلى، وهذا التفسير بعينه نص عليه الزمخشري ونقله عن أهل اللغة في سورة الغاشية أيضاً، وأنا وقفت عليه في كتبهم، فإذا عرفت معنى التصلية لغة وأنها أشدّ أنواع الإحراق بالنار، وفي علمك أن الناس عند أهل السنة ثلاثة أصناف: مؤمن صالح فائز، ومؤمن عاص وكافر، وأن المؤمن الفائز يمرّ على النار فيطفئ نوره لهبها، ولا يؤلم بمسها البتة، وإنما يردها تحلة القسم، والعاصي إن شاء الله تعذيبه ومجازاته، فإنما يعذب على وجه النار في الطبقة الأولى باتفاق، حتى أن منهم من تبلغ النار إلى كعبه، وأشدّهم من تبلغ النار إلى موضع سجوده فيحسه ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة بوعد الله تعالى، والكافر هو المعذب بين أطباقها تبين لك أن النار لا يصلاها أي: يعذب بين أطباقها كما علمت تفسيره في اللغة إلا الكافر، وهو الأشقى؛ لأنّ المؤمن العاصي لا يبلغ مبلغه في الشقاء، وأن المؤمن الفائز هو الأتقى بالنسبة إلى المؤمن العاصي يجنب النار بالكلية، لأنّ وروده تحلة القسم لا يصل إليه مسها ولا ألمها، وأنّ المؤمن العاصي الذي بالأتقى ولا بالأشقى لا يصلاها ولا يجنبها بالكلية؛ لأنّ وروده تحلة القسم لا يعذب فيها إلا بالصلى، فهذا أحسن ما حملت الآية عليه، لكن إنما ينزل على جادة السنة، وأمّا الزمخشري فينحرف عنها، فلا جرم أنه في عهدة الجواب يفكر ويقدّر، والله أعلم.

(6) سورة الليل، الآية: 17.

obeikandi.com

وقيل: الأتقى وجعل مختصًا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له. وقيل: هما أبو جهل، أو أمية بن خلف. وأبو بكر رضي الله عنه.

أَلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾.

﴿يتزكى﴾ من الزكاء أي: يطلب أن يكون عند الله زاكيًا لا يريد به رياءً ولا سمعةً أو يتفعل من الزكاة.

فإن قُلْتَ: ما محل يتزكى؟ **قُلْتُ:** هو على وجهين إن جعلته بدلاً من يؤتى فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة، والصلاة لا محل لها، وإن جعلته حالاً من الضمير في يؤتى فمحله النصب.

إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾.

﴿ابتغاء وجه ربه﴾ مستثنى من غير جنسه، وهو النعمة أي: ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه. كقولك: ما في الدار أحد إلا حمارًا. وقرأ يحيى بن وثاب: إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع، على لغة من يقول: ما في الدار أحد إلا حمار. وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي حازم:

أضحت خلاءً قفارًا لا أنيس بها إلا الجآذر[1] والظلمان تختلف

وقول القائل:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

ويجوز أن يكون ابتغا وجه ربه مفعولاً له على المعنى، لأنّ معنى الكلام: لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة.

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾.

﴿ولسوف يرضى﴾ موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه من العسر ويسر له اليسر»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الضحى مكية

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾.

المراد بالضحى: وقت الضحى وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقى شعاعها. وقيل: إنما خصّ وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجدًا، لقوله: ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾[3] وقيل: أريد بالضحى النهار بيانه قوله: أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتًا.

وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾.

﴿سجى﴾ سكن وركد ظلامه، وقيل: ليلة ساجية، ساكنة الريح، وقيل: معناه سكون الناس والأصوات فيه. وسجا البحر سكنت أمواجه، وطرف ساج ساكن فاتر.

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾.

﴿ما ودعك﴾ جواب القسم ومعناه: ما قطعك قطع المودع. وقرئ بالتخفيف يعني: ما تركك. قال:

ثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع: مبالغة في الودع لأنّ من ودعك مفارقًا فقد بالغ في تركك. روي أنّ الوحي قد تأخر عن رسول الله ﷺ أيامًا فقال المشركون: إنّ محمدًا ودعه ربه وقلاه[4]. وقيل: إنّ أم جميل امرأة أبي لهب قالت له: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت[5]. حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله: والذاكرين الله كثيرًا. والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه. فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف.

وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾.

فإن قُلْتَ: كيف اتصل قوله: **﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾** بما قبله؟ **قُلْتُ:** لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أنّ الله مواصلك بالوحي إليك[6]، وأنك حبيب الله ولا ترى كرامةً أعظم من ذلك ولا نعمةً أجل منه، أخبره إن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل، وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية.

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾.

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ موعد شامل ولما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجًا. والغلبة على قريظة والنضير وأجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة، وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الإسلام وفشوّ الدعوة واستيلاء المسلمين، ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله. قال ابن

---

(1) الجآذر: ولد العقرة الوحشية.

(2) ذكره الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفاسيرهم الزيلعي 4/ 224.

(3) سورة طه، الآية: 59.

(4) ذكره ابن مردويه في تفسيره، الزيلعي 4/228.

(5) رواه البخاري في كتاب: التفسير سورة الضحى باب: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ (الحديث رقم: 4950) ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (الحديث رقم: 115 ـ 1797).

(6) قال أحمد: وإخراج أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف إلى ذلك.